آفاق الحضارة الاسلامية، أكاديمية العلوم الانسانية و الدراسات الثقافية
السنة الرابعة عشرة، العدد الثانی، الخريف و الشتاء ١٤٣٣ هـ.ق، صص ١-١٣

القصائد العربية فی دواوين شعراء الفارسية

قيس آل قيس*

نفيسه حاجی رجبی**

الملخص

الصلات بين الفرس و العرب قديمة تمتد أصولها إلى أبعد من تاريخ المدن و الاختلاط. و التبادل و المشاركة فی الحياة الاجتماعية و الثقافية بين الامتين فی كل العصور يكشف عن أوثق الروابط و الصلات بينهما. كان ظهور الدين الحنيف سبب انتشار اللغة العربية حتى شملت البلاد الايرانية و قد شرع معظم العلماء الايرانيين فی تدوين مؤلفاتهم و كتبهم و رسائلهم باللغة العربية و ظهر شعراء كثيرون ينظمون بها و يعرفون بأصحاب اللسانين لأنهم عبروا بالفارسية و العربية و ظهور هؤلاء الشعراء أحد أبعاد تجليات الصلات الثقافية بينهما.

الكلمات الرئيسة: الصلات بين الأمتين، العرب، ايران، القصائد العربية، ذولسانين.

المقدمة

كان بين العرب و الايرانيين منذ أقدم العصور علاقات مشتركة عريقة فی جميع حقول الحياة و لاسيما منذ العهد الأخمينی فی إيران (القرن السادس قبل الميلاد) حتى الآن. جاء الإسلام و أزال الحواجز القومية. و انتشار الإسلام فی إيران أدى إلى اختلاط شديد بينهما فی الزواج و التعامل الاقتصادی و الثقافی و سائر مناحی الحياة و حمل الفرس إلى العرب أوجه ثقافتهم.

كلما كانت الأيام تمضی كانت تزداد محبة الفرس للإسلام و يهتم الايرانيون باللغة العربية.

* استاذ مشارک فی معهد العلوم الانسانية و الدراسات الثقافية ـ وزارة التعليم العالی Al kaiss@ihcs.ac.ir

** ماجستيرفی اللغة العربية و آدابها، معهد العلوم الانسانية و الدراسات الثقافية hnafice@yahoo.com

تاريخ الوصول: ١٣٩٠/٧/٥، تاريخ القبول: ١٣٩٠/٩/١٦

وظهر كبار الأدباء و اللغويون و النحويون و النقاد و كتّاب المعاجم من الايرانيين، و كان للشعراء إلى جانب هؤلاء دور اساسی فی تفاعل هاتين الثقافتين حتی نری دواوين عظماء شعراء الأدب الفارسی مشبعة بالثقافة الاسلامية التی تعتبر اللغة العربية اساساً لها.

فظاهرة هذه العلاقات يتمثل بظهور شعراء ايرانيين كانوا ينظمون باللسانين العربی و الفارسی. وقد جاء فی أشعارهم مضامين متنوعة تدل علی حظهم الوافر من العلوم المتداولة.

نركز فی بحثنا هذا علی الأمور التالية:

١. الصلات بين العرب و الفرس فی الأزمنة المختلفة من التاريخ و الصلات الشعرية بينهما.

٢. ترجمة الشعراء الايرانيين الذين نظموا باللغة العربية طبق سنة الوفاة.

١. الصلات بين العرب و الفرس قبل الإسلام

يخبرنا التاريخ عن علاقات قديمة جداً بينهما بسبب التجاور بين البلدين و التمازج و التبادل و الترابط و تأثير الشعوب بعضها فی بعض كعلاقات ملوک السلالة الأخمينية مع العرب.كما أن الملک قورش أخذ الجزية من العرب منذ سنة ٥٥٠ ق م. و أن كمبوجيه تغلب علی الجزيرة العربية و أدخلها ضمن مملكته. و فی عهد سابور الأول (٢٤١–٢٧٢ م) حاصر سابور حصن الساطرون الذی كان علی شاطئ الفرات عامين، ثم فتحه. كما أن سابور الثانی (٢٧٩–٣٠٩ م) حمل علی العرب فسماه العرب «ذا الاكتاف» لنزعه اكتاف رؤساء القبائل العربية (محمدالحوفی، ١٩٧٨: ٥–١٠).

فی عصر الساسانيين احتک العرب بالفارسية لغة العلم و الحضارة التی تحتوی فنوناً مختلفة من الآداب السياسية و الحكمة و الأدب التعليمی و الأخلاقی و غيرها من العلوم المعروفة. و كان الأكاسرة يستخدمون العرب فی دواوينهم كمترجمين و كتّاب و مستشارين. و آل عدی بن زيد أشهر كتاب العرب فی دواوين الفرس كما درس اطباء العرب المشاهير علم الطب فی فارس (عبد المحمدی، ١٤٢٦: ٤١٩).

بعض الشعراء العرب ترددوا علی بلاطات الأكاسرة أو ملوک الحيرة التابعين لبلاط بنی ساسان فتجلت معرفتهم بحياة المجتمع الفارسی فی أشعارهم و نری تأثر الشعر العربی بأساطير و معتقدات كتاب زراتشت قبل الاسلام و هذا يدل علی مبلغ رواج القصص و الأساطير التی سجّلها الأدب الفارسی بين العرب.

و قد تجلّت مفردات كثيرة و تعابير و مدلولات فارسية فی شؤون الحياة المختلفة من الشعر

العربی الجاهلی کما فی شعر الأعشی و عدی بن زید الذی تولی الکتابة فی دیوان ملک الفـرس هرمز و فی أشعار النابغةالذبیانی و غیرهم من الشعراء الذین کانت لهم علاقات بالحیرة أو بـبلاط الساسانیین (محمدی، ۱۹۹۵: ۹٦).

۲. الصلات بین العرب و الفرس فی صدر الإسلام

بعد هزیمة الجیوش الفارسیة أمام الجیوش الإسلامیة فی معرکة فتح الفتوح سـنة ۲۱ هــ دخـل العرب المسلمون ایران و أخذ الفرس یدخلون فی الاسلام و کان ظهور الدین الحنیف هو السبب الأقوی لجعل العرب و الفرس علی صلة ببعضهما و بلغت الصلة بینهما من القوة منتهاها و امتازت ایران فی ظل الإسلام بطابع حضاری دینی و أخوّة عربیة ایرانیـة و اسـتوعب الشـعب الایرانـی مفاهیم الدین. إن الایرانیین ممن خدموا اللغة العربیـة خدمـة عظیمـة و قـد شـارک الإیرانیـون إخوانهم العرب فی علوم القرآن، وعلم الحدیث، والفقه، والتصوف و العرفـان و للإیـرانیین کتـب کثیرة فی هذه المجالات (مجیب المصری، ۲۰۰۱: ٤۷).

و کان الکتّاب الفارسیة و شعراء ها یکتسبون مهارة و شهرة فی مجال النثر و النظم العربـی اذ انهم لم یکونوا یعدون العربیة لغة للعرب فحسب بل لغة الإسـلام المسـلمین عامـة. و قـد سـبّب تغلغل الکلمات العربیة فی اللغة الفارسیة هجران اللغة البهلویة بالتدریج و تحول الکتابـة بـالخط البهلوی إلی الکتابة بالخط العربی و هذا کافٍ فی حدّ ذاته لتبیان مدی عمق التـأثیر العربـی فـی الثقافة الفارسیة (صادق سعید، بلاتا: ۲۲–۲۳).

۳. الصلات بین العرب و الفرس بعد الإسلام

إن أمامنا ما لا یحصی من وثائق التاریخ و الأدب ممّا یـدل علـی التواصـل الثقـافی علـی مـرّ العصور بین أجزاء العالم الاسلامی. و المشارکة فی الحیاة الاجتماعیة و الاقتصادیة و الثقافیة بین هاتین الأمّتین یکشف عن أوثق الروابط و الصلات بینهما خاصة بعد الإسلام و أن الفرس أثـروا فی العرب و تأثروا بهم فی اللغة و الثقاقة و السنن و الآداب و التقالید و العادات (میـرزا محمـد، ۱٤۲٦: ۲۱۳).

فقد أخذ العرب من الفرس أوجه ثقافاتهم المتجلیة فی الإدارة و النظم و الزراعة و الصناعة و تأثیث المنازل و القصور و العلوم الطبیة و الهندسة و الأدب و الفکر فأخذوا اسـماءها و عرّبوهـا واستخدموا بعضها فی الادب (الکک، ۲۰۰۰: ٥).

كان نصيب الفارسية من الألفاظ العربية أكبر و أعظم بحيث كوّنت الألفاظ العربية جانباً ضخماً من مفردات اللغة الفارسية فكانت النتيجة أن ظهرت لغة فارسية إسلامية جديدة ممتزجة باللغة العربية (ايروانی‌زاده و شاملی، ١٣٨٤: ١١).

من مظاهر امتزاج اللغتين العربية و الفارسية ظهور الشعر الملمّع، إذ تضمن الشعر الفارسی آيات قرآنية و أحاديث نبوية، و كذلک ظهور الشعراء ذوی اللسانين الذين ينشدون الشعر بالعربية و الفارسية، و زيادة الأمثال و الحكم فی الشعر العربی و أكثرها مترجم من اللغة الفارسية، وتضمّن الشعر العربی لألفاظ الفارسية، واهتمام شعراء الفرس بفنون البديع العربية، و تلقّب كثير من العرب بألقاب فارسية و تسمية كثير من الفرس بأسماء مركبة من العربية و الفارسية، و إلقاء المواعظ على الناس باللغتين (شوقی ضيف، ١٩٩٦: ٥٦٦–٥٦٧).

و من عوامل انتشار العربية فی ايران دخول الجيوش الاسلامية فی بلاد فارس و حيث هاجر كثير من العرب إلى ايران و استوطنوها فيها، و جد الفرس فی نشر الإسلام و تبليغه و هذا يستلزم إتقان العربية و إجادتها. إن العرب احتاجوا إلى الفرس فی ادارة الدولة زمن الامويين و العباسيين، فكان ذلک عاملاً مهماً فی تعلمهم العربية و ترويجها (ايروانی‌زاده و شاملی، ١٣٨٤: ٥–١٢).

وفی العصر العباسی أُشرِک الفرس فی السلطة و الإدارة و الجيش و تعاون أشراف الفرس مع العرب. و قد تكوّن الأدب العباسی فی بيئة جوّها مشبع بالنفس الفارسی و الروح الفارسية إذ نجد كل الكلمات التی دخلت العربية فی هذا العصر فارسية أو مأخوذة عن الفارسية. كان اختلاط العرب بالفرس فی هذا العصر سبب ظهور الزندقة و الفرس نشروا دياناتهم و هی الزردشتية و المانوية و المزدكية فی المجتمع العربی الاسلامی.

لقد بدأ النقل و للترجمة من التراث الساسانی منذ الفترة الأموية المتأخرة، ثم قامت حركة واسعة للترجمة بعد مجیء العباسيين و كان لكتّاب الفرس دور فی الترجمة عن الفارسية.و فی أوائل العصر العباسی كان للترجمة تأثير كبير على تطور الأدب العربی و اتساع اللغة العربية فهذه النهضة أحدثت ثورة فی الأفكار و العقول وظهرأثرها فی اللغة العربية وآدابها (محمدی، ١٩٩٥: ٩٦–٩٧).

٤. الصلات الشعرية بين العرب و الفرس

تناول الشعر الفارسی موضوعات الشعر العربی من المدح و الهجاء و الغزل و الوصف. فللمدحة مقدمة من النسيب و وصف الطبيعة كأننا نقرأ مدحة عربية مترجمة مثل مدائح منوجهری، والعسجدی، والعنصری و الفرخی. و شعر التصوف الفارسی فی نشوئه و نموه كان يتغذی بشعر

التصوف العربی عند الحلاج، وابن العربی، وابن الفارض. و قد نظم العرب قصصاً فارسیة کخسرو و شیرین و نظموا کثیراً من وقائع التاریخ الایرانی و أساطیره (قندیل، ١٩٨١: ٢٠٠-٢٠٣).

و قد لاحت بشائر الشعر الفارسی الإسلامی فی أواخر القرن الثانی الهجری و اوائل القرن الثالث حیث نشأ فی کنف الشعر العربی و سار علی غراره و لکن راجت سوق الشعر العربی بایران فی القرن الرابع الهجری رواجاً عظیماً و کان من العوامل التی أدت إلی هذا الرواج اهتمام ملوک البویهیین و وزرائهم بالشعر و أصحابه و فی مقدمتهم عضد الدولة (شوقی ضیف، ١٩٩٦: ٥٦٨).

فقد آثر البویهیون أن یرتبطوا بالعالم الإسلامی عن طریق اللغة العربیة و آدابها و کان بینهم الشعراء و الأدباء و کان وزراؤهم من کبار الأدباء و فی مقدمتهم الصاحب بن عباد و ابن العمید و هو الجامع بین الثقافة العربیة و العمق الفکری و التقالید الفارسیة (آذرشب، ٢٠٠١: ١٠٧-١٢٦).

٥. ترجمة الشعراء الایرانیین الذین نظموا باللغة العربیة حسب سنة الوفاة

ثمة روابط وثیقة بین تراثی العرب و ایران فی میدان الشعر نادراً ما قامت بین أمتین و کانت الصلة بین العرب و الفرس فی مظهر لغوی ـ أدبی هو التقاء الفارسیة و العربیة جمیعاً فی ألسنة بعض من شعراء و بلغاء الفرس الذین نشأوا و ترعرعوا فی ایران و قضوا کلاً أو جزءً من حیاتهم فیها و أبدعوا آثاراً منظومة أو منثورة و هم یعرفون بأصحاب اللسانین لأنهم عبّروا بالفارسیة و العربیة و بذلک تواکبت اللغتان و ارتبطتا بثقافة الاسلامیة.

هذه المجموعة تشتمل علی عدد من نوابغ ایران فی اللغة العربیة و تتضمن نماذج من أشعارهم.

١.٥ قابوس بن زیاد وشمگیر (... - ٤٠٣ هـ)

الامیر شمس المعالی، ابوالحسن، قابوس بن أبی طاهر، وشمگیر بن زیاد بن وردان شاه الجیلی و لقّبه الخلیفة العباسی بلقب «شمس المعالی».

یرجع نسبه هو و أسرته إلی «آل قارن» إحدی الأسر السبع الرفیعة لعهد الساسانیین وهو أحد أمراء الدولة الزیاریة فی طبرستان و جرجان و بلاد الجبل. و ولّی الحکم بعد أبیه وشمگیر ابن زیاد سنة ٣٦٧ و اشتبک مع البویهیین فهُزم و فرّ من إمارته إلی السامانیین سنة ٣٧١ و ظلّ عندهم حتی استردّ ملکه سنة ٣٨٨.

کان امیراً جلیل القدر و بعید الهمة و ذا رأی بصیر بالعواقب، و رغم ما امتاز به من نبل الأصل و علو العقل، کان فظاً غلیظ القلب کثیر الظنون. و فی بعض الأحیان کان عطشان إلی سفک

الدماء حتی استوحشت النفوس منه فأجمع أعيان دولته و عسكره علی خلعه و حاصروه بإحدی القلاع فی جرجان و لم يزل فی سجنه حتی توفی سنة ٤٠٣.

كان قابوس من الفضلاء البلغاء فی اللغتين العربية و الفارسية و له رسائل و أشعار و له أشعار لطيفه بالفارسية و العربية. وكان بارزاً فی علوم البلاغة العربية، متفوقاً فی الفلسفة و النجوم و قد كتب بالعربية رسالة عن «الاسطرلاب» و كان يكرم العلماء و الشعراء و يجزل الصلات لهم و هو يعدّ من كبار الكتّاب فی عصره (شوقی ضيف، ١٩٩٦: ٦٥٠– ٦٥١).

و من شعره:

قل للذی بصروف الدهرِ عَيَّرَنا ... هَل حارَبَ الدهرُ إلاّ مَن له خَطَرُ

أما تَری البحرَ تَعلوُ فوقَه جيفٌ ... و يستقِر بأقصی قَعرِهِ الدُرَرُ؟

فإن تَكُن نَشبَت أيدِی الزمانُ بنا ... و نالَنا مِن تمادی بُؤسِها الضَرَرُ

ففی السماءِ نجومٌ ما لَها عَدَدٌ ... و ليسَ يُكسفُ إلاّ الشمسُ و القمرُ

و له ايضاً:

باللهِ لا تنهضی يادولَة السَّفل ... و قصّری فضل ما أرخيص من طول

أسرفتِ فاقتصدی، جاوَزتِ فانصرفی ... عن التهُوّرثم امشی علی مهل

مُخدَّمون و لم تخدم أوائلُهم ... مُخلّدون و كانوا أرذَل الخول

وله كذلک:

خطرات ذكرک تستثير مودتی ... فأحس منها فی الفؤاد دبيبا

لا عضولی إلا وفيه صبابة ... فكأنَّ أعضائی خُلِقن قلوبا

(تويسركانی، ١٣٣٦: ١٣٨)

إن الزمان لا يهتم و لا يعبأ إلّا بذوی المكانة و المنزلة و لا ينظر إلّا إلی ذوی الهمم العالية، فهو لا يتصدی إلّا لهم، و هؤلاء قليلون دائماً و ابداً، فإذا ما اختلفوا عن العيون و الأنظار بسبب صروف الدهر و نوائبه، ظهر غيرهم ممن لا يستحق الثناء و الإطراء، فليس أولئک بالنسبة إلی هؤلاء إلّا كالشمس و القمر بالنسبة إلی النجوم، هذه بادية للعيان و ذانكما يطرأ عليهما الكسوف و ما ذلک إلّا لأهميتها و مكانتها.

إنه يدعو علی دولة الاوغاد و السفل بالسقوط و الأفول و يتمنی أن يقصر عمرها و أن لا يطول، فهی قد اسرفت و جاوزت الحدّ فيريد أن تنصرف عن تهورها و تكفّ عن غوائلها و

جورها، ان رجال هذه الدولة لم یکن لهم ذکر و لم یکونوا ذوی أصل و نسب، إنهم الآن یتمتعون بنعیم هذه الدولة فی حین انهم کانوا اخسّ العبید و أرذلهم.

ذکری الحبیب تثیر عواطفه و أحاسیسه، فتدبّ هذه فی قلبه بل فی جسمه جمیعا، فکأن کلّ عضو من أعضائه أصبح قلبا فیه حرارة الحبّ و شوقه و حنینه و عاطفته.

وکما کان أدیبنا شاعراً ظریفاً، کان کاتباً مترسّلاً ایضاً، لکنّ الصناعة فی شعره أقلّ من الصناعة فی نثره و هو یغرب فی الاستعارات خاصة فیأتی بالبارع منها کثیراً و بغیر البارع قلیلاً و له فی نثره أقوال حکمیة موجزة (ایروانی‌زاده و شاملی، ١٣٨٤: ١٨٩–١٩١).

٢.٥ الطغرائی (٤٥٣–٥١٣ هـ)

أبواسماعیل، الحسین بن علی بن محمد عبدالصمد، الملقب بمؤید الدین المعروف بالطغرائی. نسبته إلی من یکتب الطغراءَ و هی الطّرّةٌ التی تکتب فی أعلی المناشیر فوق البسملة بالقلم الجلّی تتضمن اسمَ الملکِ و ألقابَه، ولد عام ٤٥٣ فی جی من أعمال اصفهان.

کان من أفراد الدهر و آیة فی الکتابة و الشعر غزیر الفضل لطیف الطبع فاضلاً عالماً صحیح المذهب. کان مشتغلاً بعلم الکیمیاء و صنّف فیه کتباً و له فی العربیة و العلوم قدرٌ راسخٌ وله باع طویل فی البلاغة. ینسب إلیه اشعار کثیرة فی مدح أهل البیت علیهم السلام لاتوجد فی دیوانه و کأنها أسقطت منه.

خدم سلاطین آل سلجوق و کان منشیءَ السلطان محمدٍ مدة ملکِه، متولی دیوان الطغراء و صاحب دیوان الانشاء إلی أن صار وزیر السلطان مسعود بن محمد السلجوقی بالموصل و لم یکن فی الدولتین السلجوقیة و الإمامیة من یماثله فی الانشاء سوی أمین الملک أبی نصر العتبّی.

له تصانیف منها: جامع الأسرار و تراکیب الانوار و حقائق الاستشهادات، ذات الفوائد، الرد علی ابن سینا فی إبطال الکیمیاء، مصابیح الحکمة، دیوان شعر و غیر ذلک.

و قد قتل سنة ٥١٣ هـ و قد جاوز الستین سنة.

و قد اشتهر بلامیة العجم التی شرحها الصفدی و قد کان قالها ببغداد سنة ٥٠٥ معبراً عن آلامه و یشکو زمانه.وهذه القصیدة فی حذاء القصیدة المعروفة بلامیة االعرب التی أنشأها ثابت بن اوس الازدی الیمنی المشهور بالشنفری (محسن الامین الحسینی، ١٩٣٥: ٦/ ١٢٧–١٢٨).

أصالة الرأی صانتنی عن الخطل و حیلة الفضل زانتنی لذی العطل
مجدی أخیراً و مجدی اولاً شرع و الشمس رأد الضحی کالشمس فی الطفل

فـــيم الإقامـــة بـــالزوراء لاســـكنی بهـــا و لا نـــاقتی فيهـــا و لاجملـــی
نـــاءٍ عـــن الأهـــل صـــفرُ الكـــف منفـــرد كالســـيف عـــرّی متنـــاه عـــن الخلـــل
و لا صـــديق إليـــه مشـــتكی حزنـــی و لا أنـــيس إليـــه منتهـــی جـــذلی
حـــال اغترابـــی حتـــی حـــنّ راحلتـــی و رحلُهـــا و قـــری العسّـــالة الـــذّبل
و ضـــجّ مـــن لغـــب تصـــوی و عـــجّ لمـــا يلقـــی ركـــابی و لـــجّ الركـــب فـــی عـــذلی
أُريـــد بســـطة كـــفّ أســـتعين بهـــا علـــی قضـــاء حقـــوقٍ للعلـــی قبلـــی
والـــدهر يعكـــس آمـــالی و يقنعنـــی مـــن الغنيمـــة بعـــد الكـــدّ بالقفـــل
و ذی شـــاطٍ كصـــدر الـــرمح معتقـــل بمثلـــه غيـــر هيّـــابٍ و لا وكـــل

(ابن خلكان، ١٩٧١–١٩٧٢: ٢/ ١٨٥)

أصبح الشاعر نائباً فی ديوان الطغراء و لكنه يطمع بالصـدارة و لا يرضـی لنفسـه أن يبقـی كاتبا أو نائبا.إنه سعی إلی الوزارة لأنه يريد أن يحقق ذاته و أن يحكم و طبيعی أن يحـس بهـا الصدور فيتتبعوا حركاته و سكناته و يحسدوا و يحقدوا عليـه و يشـوّهوا الحقـائق و يختلقـوا الأباطيل و يصبح ديدنهم إزاحة الطغرائی عن طريقهم و الاستعانة فی سبيل تلـک الغايـة بكـل وسيلة، هؤلاء يغيرون عليه قلب السلطان و يؤلبون اللؤماء و يحطون من مكانته. و أصدقاؤه ألد أعدائه و لقد أوقعوا به وانزلوه من مجده و لم يعد له ذلک النفوذ و لقد بات فی همّ و قلق و بين إقدام و إحجام.

هو فی بغداد ليس بأسعد حظاً مما كان عليه فی إصفهان. ولم يجد عند الخليفة ما كان ينتظره و حتی ما يمكن أن يكون جزء علی فضل سابق و خدمة سابقة و مثل الخليفـة حاشـيته. فلقـد ضاقت الدنيا علی أشد ما يمكن عليه من ضيق و انتهی عالم و بدأ عالم أسود. فعزل الطغرائی من ديوانه عام ٥٠٥ و تلک مصيبة عظمی و مضاعفة.

وهذا صميم دافع، حداه إلی نظم قصيدتين طويلتين عامرتين: بائية و لامية قد قالها فی العـام ٥٠٥ نفسه و أفرغ كل ما كان يخامره من مشاعر و أفكار و لاشک أنه أعجب بها و ارتاح إليها و قرأها و استعادها و ظلّ يرويها للمقربين أمثـال الشـهرزوری و ابـن الشـجرة و ابـن الاخـوة و المعجبون حوله يستعيدونها.

شرح بعض أبيات قصيدته اللامية

الشاعر يفخر بنفسه و بصواب الرأی و الفضل و يعبر عن نفسه بالقول : بإننی مزين بالفضـل بعـد

عزلی من الوزارة و ان منصب الوزارة لم یعطلنی من الفضل و صواب رأیی حفظنی عن الفساد فی المنطق و الکلام. انه یعتقد بأن کرمه و مجده قبل العزل و بعده سواء و العزل عن الوزارة لم یـؤثر فی مجده و کرمه لأنه کریم الأصل. کما أن الشمس وقت غروب الشمس کالشمس وقت الضحی و لا تقل الشمس وقت الغروب منزلة و لیس لأحد أن یکذبه فی دعواه و هو الذی بلغ فی عصره المنزلة المرموقة علماً و أدباً و سیاسةً و أن فخره مشوب بشیء من الشکوی و المرارة و لقد فقد صاحبه شیئاً عزیزاً علیه، و قد یکون أهم ما یملک و أکبر ما یـری فـی الحیـاة و فیـه عزتـه و کبریاؤه. الشاعر یری عدم لزوم الإقامة فی بغداد و أن فیها أسی شدیداً و عتاباً بالنفس مـراً. انـه استفهام صدرعن أعماق نفس متألمة و غیر راضیة عن إقامتها فی بغداد و دعوة إلی الهجرة فوالی الأدلة إلی الهجرة، لیس للشاعرأحد فیها یأنس به، و هومتبعد عن أهله، خال الید، منفرد کالسیف الذی تجرّد عن غمده، لا صدیق له حتی یشتکی حزنه إلیه و لا أنیس له لیشارکه فی سـروره و الجذل و بما أن سفره طال و امتدّ، تعبت ناقته و صاحت و رفعت صوتها وکان أصحابه یلومونـه علی الإستمرار فی سفره و لابدّ من العودة، رضی أم لم یرض.

و یقول إن الدهر خالفنی و قلّب آمالی فأصبحت قانعاً بالرجوع من السفر دون اکتساب غنیمة و کل ما فی الدهر یدعو إلی التشاؤم بحرارة و حماسة، أهل هذا العالم قوم أعداء شیمتهم الغـدر، کذابون لا یمکن أن یعیش بینهم امرؤ حسن النیة یثق بالآخرین، صـادق (علـی جـواد الطـاهر، ١٩٦٢: ٧١– ١٣٠).

٣. السعدی (٦٠٥– ٦٩١ هـ)

هو مشرف الدین بن مصلح الدین عبدالله المتخلص بالسعدی ولد فی مدینة شیراز حـوالی سـنة ٦٠٥ هــ انتقل سعدی عند موت أبیه إلی رعایة حاکم فارس الأتابک سـعد بـن زنگـی و هـذا الحاکم أرسله إلی المدرسة النظامیة فی بغداد لمتابعة دروسه و استیفاء تحصیله و قد وقع السعدی فی بغداد تحت تأثیر الشیخ الصوفی شهاب الدین السهروردی و أخذ ایضاً الفضـل و العلـم مـن شمس الدین أبی الفرج بن الجوزی.

إنه عاصر هجمة المغول علی العالم الاسلامی فعبر عن مشاعره تجاه سـقوط بغـداد و مقتـل الخلیفة العباسی و بعد أن غادر بغداد قصد أن یترحل بین اقطـار العـالم الإسـلامی. و فـی عهـد الأتابک السلغری قفل إلی شیراز مسقط رأسه.

إنه شاعر من کبار الشعراء الایرانیین و رائد الشعر التعلیمی الأخلاقی و صوفی یـنظم الغـزل الصوفی و تروی عنه الکرامات فی باب الحکمة و الموعظة و إیراد الحِکَم و الأمثال.فاق بالشـعر

الفارسی أقرانه و بالغ فی غزلياته نهاية حدود اللطف و الجمال، فصاغ أدقّ المعانی فـی الالفـاظ البسيطة و التعابير الفصحية و البليغة.

له إنتاج ضخم من الشعر و النثر و له كتابان «بوستان» نظمه سنة ٦٥٥ و «گلستان» نظمه عام ۶۵۶ هـ و له ست رسائل نثرية: المجالس الخمسة، نصيحة الملوک، رسالة فی العقل و العشـق، التقارير الثلاثة. وله قصائد فارسية و عربيـة و ملمّعـات و ترجيعـات و ثـلاث مجموعـات مـن الغزليات الصوفية هی الطيبات و البدائع و الخوايتم.

توفی فی شيراز عام ٦٩١ هـ و قد جاوز المائة من عمره (عـوض بـن معيـوض الجميعـی، ٢٠٠٤: ٩٥-١٠٨).

فی مرثية المعتصم بالله و ذكر واقعة بغداد:

حبسـت بجفنـی المـدامع لاتجـری ... فلما طغی الماء استطال علـی السـكر
نسـيم صـبا بغـداد بعـد خرابهـا ... تمنيت لـو كانـت تمـر علـی قبـری
لان هلاک النفس عنـد أولـی النهـی ... أحب له من عـيش منقـبض الصـدر
زجرت طبيبـاً جـسّ نبضـی مـداويّا ... اليک، فما شكوای من مـرض تبـری
لزمت اصـطباراً حيـث كنـت مفارقـاً ... و هـذا فـراق لايعـالج بالصـبر
تسائلنی عما يجـری يـوم حصـرهم ... و ذلک مما ليس يدخل فـی الحصـر
أديرت كـوؤس المـوت حتـی كأنـه ... رؤس الأسـاری ترجحن مـن السـكر
لقـد ثلكـت ام القـری و لكعبـة ... مدامع فی الميزاب تسكب فی الحجر
بكـت جـدر المستنصـرية ندبـة ... علی العلماء الراسـخين ذوی الحجـر
نوائـب دهـر ليتنـی مـت قبلهـا ... و لـم ارعـدوان السـفيه علـی الحبـر
محـابر تبكـی بعـدهم بسـوادها ... و بعض قلوب الناس احلک من حبر
لحـی الله مـن يسـدی إليـه بنعمـة ... و عنـدهجوم النـاس يـألف بالغـدر
مـررت بصـم الراسـيات اجوبهـا ... كخنساء من فرط البكاء علـی صـخر
أيا ناصحی بالصـبر دعنـی و زفرتـی ... أموضع صبر و الكبود علـی الجمـر؟
تهـدم شخصـی مـن مداومـة البكـا ... وينـدم الجـرف الـدوارس بـالمخر
وقفـت بعبـادان ارقـب دجلـة ... كمثـل دم قـان يسـيل إلـی البحـر
وفـائض دمعـی فـی مصـيبة واسـط ... يزيـد علـی مـد البحيـرة و الجـزر

فجرت میاه العین فازددت حرقة — کما احترقت جوف الدمامیل بالفجر
و لا تسألنی کیف قلبک و النوی — جراحة صدری لاتبین بالسبر
و هب ان دار الملک ترجع عامراً — و یغسل وجه العالمین من العفر
فأین بنوالعباس مفتخر الوری — ذوو الخلق المرضی و الغرر الزهر
غدا سمراً بین الأنام حدیثهم — و ذا سمریدمی المسامع کالسمر
و فی الخبر المروی دین محمد — یعود غریباً مثل مبتدأ الامر

(سعدی الشیرازی، بلاتا: ۷۵۷)

لقد کان لحادثة سقوط بغداد، و مقتل الخلیفة العباسی المعتصم بالله سنة ۶۵۶ ه علی ید هولاکو الأثر العمیق المؤلم فی نفوس المسلمین کافة، کانت کارثة مروعة ألهبت مشاعرهم، کما ألهبت مشاعر الشعراء و نفوسهم، فنظموا مراثی عدة یعبرون فیها عن جزعهم إزاء ذلک الخطب المؤلم. وقد شارک سعدی شعراء عصره فی رثاء الخلیفة، و عبّر عن مشاعره فی قصیدتین إحداهما بالعربیة و الأخری بالفارسیة.

یصور الشاعرفی هذه القصیدة مدی حزنه و أسفه علی ما حاق بالخلافة الإسلامیة، مما جعله یتمنی الموت لنفسه، صور ما حلّ بالبلاد من نار الفتنة التی تتأجّج و تأتی علی الأقطار الواحد تلو الآخر.

هذه القصیدة من أطول قصائده علی الإطلاق، فقد بلغت اثنین و تسعین بیتاً، بینما جاءت القصیده التی نظمها سعدی بالفارسیة فی رثاء الخلیفة فی ثمانیة و عشرین بیتاً.

اشتمل النص علی التعبیر الصادق عن مشاعر الحزن الشدید و الجزع المؤلم علی ما حلّ بدیار المسلمین من کارثة مرعبة، کما تضمّن الشکوی من غدر الزمان و تقلّب الأحوال و التحذیر من تحول الدنیا و انقلابها.

و هنا نلحظ تفاعل العلاقات الأدبیة بین الثقافتین العربیة و الفارسیة، و مدی أثر الثقافة العربیة فی شعره، فجملة «طغی الماء» فی مطلع القصیدة العربیة تعبیر قرآنی، و مثل هذا التأثر کثیر فی شعره، شاع و انتشر فی سائر قصائده، و هذا یعکس ما استقر فی الوجدان من عمق التجربة. و هذا الصدق الفنی جعل هذه المشاعر التی احتوتها هذه القصیدة و غیرها من قصائده، تنفذ من الأعماق إلی الأعماق و یجتاحک شعور غریب و احساس غیر عادی ممتزج فیه الحزن بالشجن و المتعة بالألم.

و الآن نشرح بعض أبیات قصیدته فی رثاء بغداد

یرثی الشاعر بغداد لما اصابها من القتل و السفک و التخریب والدمار، بغداد التی امضی فیها الشاعر شطراً من عمره لیس بالقصیر، و نهل من منبع علومها المقدار الکثیر، انه یحاول ان یصبر و

يتجلد فحبس الدموع فى عينيه، ولكنها عندما زادت تفجرت و جرت منهما، كالسيل الذى يطغى على السدّ فيكسره فلا يستطيع أن يحبسه خلفه. انه يتمنى ان يكون قد مات قبل أن يرى خرابها و دمارها فلا يستنشق نسيم خرابها، فإذا مرّ نسيم خرابها يمرّ على قبره. لأن الموت عند العقلاء افضل من العيش و الحالة أن يكون الانسان حزينا منقبض الصدر مغموما. تألم الشاعر ألما شديدا لما اصاب بغداد فمرض جسمه و حزنت روحه فلما جسّ نبضه الطبيب لمداواته زجره قائلاً ان شكايتى ليست من مرض تستطيع له برءً انک تسألنى عما اصاب بغداد يوم حاصروها، و ذلک ما لا يمكن أن يوصف. لقد اطاحوا برؤوس ساكنيها فأخذت تتمايل كأنها تتأرجح بسبب السكر و الشراب. إنها مصائب الزمان و نوائبه، فليتنى مت و لم أر عدوان السفيه و تجاوزه على العلماء و العقلاء.انه يخاطب ناصحه بالصبر و التجلد قائلاً ان نصيحتک لا تجدينى نفعاً و لا تعود على بفائدة، لأن الحالة ليس يستطاع الصبر عليها، لأن القلوب و الأكباد مضطرمة ناراً.

إنه وقف بمدينة عبّادان ينظر إلى ماء دجلة و ما أصابه بسبب القتل و الدمار انه كالدم يسيل إلى البحر.

انه يخاطب ناصحه و يقول له لا تسأل عما فعل البعد عن بغداد فى قلبى انه مملوء بالجراحات بحيث لا يمكن أن تسبر جراحاته و يعرف مدى عمقها، إنه يخاطب ناصحه قائلا له: افرض أن بغداد تعود عامرة و تصبح زاهية مرة أخرى، فهل يمكن ان يعود القتلى أحياء مرة ثانية و منهم خلفاء بنى العباس الذين يفتخر بهم المسلمون. إنهم اصبحوا اخبارا يتحدث فيها الناس بأسمارهم و لكن هذه الأسمار ليست أسمارا يفرحون بها و إنما هى أخبار و أسمار تدمى القلوب و تؤلم النفوس و قد جاء فى الأخبار أن دين النبى(ص) يعود غريباً، فهل يعود غريبا فى حالة تكون أغرب و أعجب من هذه الحالة التى هو عليها الآن (عوض بن معيوض الجميعى، ٢٠٠٤: ٩٥-١٠٨).

النتيجة

إنّ العلاقات بين العرب و الفرس قديمة و عريقة و إن العرب لم يكونوا بعيدين عن الحياة الفارسية حتى قبل الإسلام و جرى تبادل التأثير بين اللغتين منذ العصور الغابرة. و بعد ظهور الإسلام بلغت الصلة بينهما من القوة منتهاها و الحضارة الفارسية قد مثلت ركناً ركيناً فى تشييد صرح الحضارة الاسلامية وكان الامتزاج و التفاعل بين العرب و الفرس سبباً للتطور و التجديد الذى رفع الادب العربى و كان للشعراء إلى جانب هؤلاء دور أساسى فى تفاعل هاتين الثقافتين حيث ظهر شعراء الفارسية من ذوى اللسانين الذين كانوا ينشدون الشعر بالعربية و الفارسية.

المصادر

الکتب

آذرشب، محمدعلی (۲۰۰۱ م). *العلاقات الثقافیة الایرانیة العربیة*، دمشق: المستشاریة الثقافیة الجمهوریة الایرانیة.
ابن خلکان (۱۹۷۱– ۱۹۷۲ م). *وفیات الاعیان و انباء ابناء الزمان*، حققه احسان عباس، بیروت: دارالثقافة.
احسان صادق سعید (بلاتا). *علوم البلاغة عندالعرب و الفرس (دراسة مقارنة)*، المستشاریة الثقافیة الایرانیة فی دمشق.
الامین الحسینی العاملی، محسن (۱۹۳۵ م). *اعیان الشیعه*، بیروت.
ایروانی‌زاده، عبدالغنی و نصرالله شاملی (۱۳۸٤ هـ .ش). *الادب العربی و الایرانیون*، تهران: سمت.
تویسرکانی، قاسم (۱۳۳٦ هـ .ش). *عدد من بلغاء ایران فی لغة العرب و نخب من آثارهم*، تهران: دانشگاه تهران.
حریرچی، فیروز (بلاتا). *دراسة وجیزة حول اشعار هاتف العربیة*، طهران: طهوری.
الحوفی، احمد محمد (۱۹۷۸ م). *تیارات ثقافیة بین العرب و الفرس*، القاهرة: دار النهضة.
سعدی شیرازی (بلاتا). *دیوان شیخ أجل سعدی شیرازی*، به کوشش مظاهر صفا، تهران: کانون معرفت.
شوقی ضیف (۱۹۹٦ م). *تاریخ الادب العربی، عصر الدول و الامارات الجزیرة العربیة ـ العراق ـ ایران*، مصر: دارالمعارف.
قندیل، اسعاد عبدالهادی (۱۹۸۱ م). *فنون الشعر الفارسی*، بیروت: دار الاندلس.
الکک، فیکتور (۲۰۰۰ م). *مختارات من الشعر الفارسی منقولة إلی العربیة*، طهران: دارالهدی.
مجیب المصری، حسین (۲۰۰۱ م). *الصلات بین العرب و الفرس و الترک*، القاهرة: الدار الثقافیة.
محمدی، محمد (۱۹۹۵ م). *الادب الفارسی فی أهم أدواره و اشهر اعلامه*، طهران: توس.
مصطفوی‌نیا، سیدمحمدرضی (۱۳۸۲ هـ .ش). *نصوص من النثر و النظم العربی فی ایران*، قم: رازبان.

المقالات

عبدالمحمدی، حمیدرضا (۱٤۲٦ هـ). «حرکة النقل و الترجمة و أثرها علی اللغة و الادب العربی فی العصر العباسی»، *آفاق الحضارة الاسلامیة*، السنة ۹، العدد ۱۷.
عوض بن معیوض الجمیعی (۲۰۰٤ م). «العلاقات الأدبیة بین الثقافتین العربیة و الفارسیة: سعدی الشیرازی نموذجاً»، *آفاق الحضارة السلامی*، السنة ۷، العدد ۱٤.
علی جواد الطاهر (۱۳۹۰ هـ.ش). «لامیة الطغرائی»، *مجلة کلیة الآداب جامعة بغداد*، العدد ۵، السنة ۱۹٦۲ م.